



٦٥- بناء قصور العشق

إذا كان الملوك والسلاطين قد قاموا ببناء القصور
فإننى قد قمت ببناء عمارات العشق وقصوره
أى ملك من الملوك والسلاطين العظام يذكر اسمه
مثلما يذكر اسم كل من الجنون^(١) وفرهاد^(٢)
إن العشق الحقيقى مرشد للعاشق ومعلم له
لن يأتى إلى الوجود مرشد ومعلم آخر مثله
كل هذه الأعمال العظيمة من كرامات العشق
الذى يجعل الشخص قطبا^(٣) والآخر غوثا^(٤) والثالث أوتادا^(٥)

-
- (١) الجنون: المراد من الجنون مجنون ليلى، وهو قيس بن الملوح العامرى. راجع صفحات ١٣٠ هـ، ١٣٧ هـ، ١٨٧ هـ، ٢٠٣ هـ من هذا الكتاب.
- (٢) فرهاد: بطل قصة منظومة فى الأدب الأفغانى اسمها "شيرين وفرهاد" للشاعر ملا نعمت الله، وهى تشبه منظومة فرهاد وشيرين لعلى شيرنوائى فى الأدب الجغتائى، ومنظومة خسرو وشيرين لنظامى گنجوى فى الأدب الدرى. ويبدو أن الشخصيات فى هذه المنظومات من صنع خيال الشعراء الثلاثة.
- (٣) قطبا: القطب عند الصوفية الولى الذى جعله الله موضع نظره وعنايته، وهو الذى وهبه الله الطلسم الأعظم، ووجوده فى الدنيا بمنزلة وجود الروح فى الجسد، وعليه مدار الوجود.
- (٤) غوثا: الغوث عند الصوفية هو القطب عند الالتجاء إليه، ومن غير الالتجاء إليه لا يسمى غوثا.
- (٥) أوتادا: الأوتاد عند أهل التصوف هم المرشدون أو الرجال الأربعة الذين هم الموكلون على الجهات الأربع من العالم، يحفظ الله بهم الجهات لكونهم محال نظره تعالى.

إن حيل الدنيا وتدابيرها كلها فانية لا بقاء لها
فكيف يمكن لأحد من الناس الاعتماد عليها
فهى كالظل الذى يدور أمام الشمس سائرا
لا يستقر فى مكان للسكنى، ولا يتوقف
لم يوف بعهده ووعدده مع أحد أبدا
سواء كان جمشيدا^(١) أو بهمنا^(٢) أو قبادا^(٣)
سواء كان جمشيدا أو بهمنا أو قبادا
أو كان نمرودا^(٤) أو فرعون أو كان شدادا^(٥)

(١) جمشيد: ملك من ملوك الدولة البشندادية فى آريانا (أفغانستان) وهى أول دولة فى تاريخ
الآريين (الأفغان والفرس) كان لهذا الملك كأس تسمى "جام جم" أى كأس الملك
جمشيد، أو "جام جهان نما" أى مرآة العالم كانت فيها صورة الأقاليم السبعة للعالم.
وأهل التصوف يرمزون بها إلى قلب العاشق الإلهى.

(٢) بهمن : اسم عالم مشهور من علماء الزردشتية، وقد أطلق اسمه على الشهر الحادى عشر
من الشهور الإيرانية، كما أطلق على اليوم الثانى من كل شهر من الشهور الإيرانية.
وبهمن أولى السلالات الإسلامية فى الدكن، أسسها حسن علاء الدين بهمن شاه.

(٣) قباد: وهو كيقباد أول الملوك المعروفين فى التاريخ الآرى (الأفغانى - الإيراني) بالكيانيين
فى بلخ فى شمال أفغانستان، وهو مؤسس هذه الأسرة، ومن أعماله المشهورة إقامة العدل،
وإعمار البلاد، ومراعاة الطقوس الدينية الآرية.

(٤) نمرود: هو ابن كوش بن حام، جاء ذكره فى كتب العرب، يضرب به المثل فى الجبروت.

(٥) شداد: هو شداد بن عاد، حكم جنوب جزيرة العرب، تنسب إليه مدينة إرم فى صحراء
عدن، وكان من الجبارين.

لم يتمكن أحدا من أن ينال مراده وهدفه فى الدنيا
ويبقى الجميع دون أن يصلوا إلى الأهداف
لم يقم أحد بقراءة القرآن والدعاء لأجلهم
لا من أهلهم، ولا عيالهم، ولا أولادهم
أنا عبد الرحمن ذاهب من جور الزمان
إلى صاحبي مستغيثا طالبا العدل والإنصاف

“ ٧٨٧ ”

‘ ٦٦ - القاصد والمقصود ’

قاصدا^(١) طالبا كنت أو مقصودا^(٢) مطلوبا
فعليك أن تساوى وتقارن بين الخسارة والمنفعة
كل ما يأتى أمامك ويقابلك
اعتبر كل ذلك سلامة لك ومنفعة
كل ما يوجد فى الدنيا من غير الله
اعتبر كل ذلك معدوما زائلا
سلم رضاك واختيارك للقضاء والقدر
وعش دائما جميل المظهر مسرورا راضيا

(١) قاصدا: القاصد فى نظر الصوفى هو الطالب العاشق المحب، أو الصوفى الزاهد الذى يطلب
ويبحث عن الحب الإلهى.

(٢) مقصودا: المقصود هو المطلوب المعشوق المحبوب، وهو الذات الإلهية عند أهل التصوف
والزهد.

إنه يبدو للوجود بجلوة تعجب الناظرين
كعادة سحاب السماء وغيومها المفيدة
فكر مليا، وانظر إلى نفسك بدقة
وقرر: إن كنت مقبولا أو مردودا
كن متفرجا ومشاهدا لصورة نفسك
واحكم إن كنت مسلما أو كافرا جاحدا
كن حنيفيا من أتباع أمة إبراهيم
ولا تكن خاضعا تابعا من أتباع عمرو
انهض يقظا من نوم الغفلة والتغافل
إلى متى ستعيش نائما في الغفلة
عش متقيدا منهمكا ومشغولا بالحاج
رغبة في الدعاء والابتهال والرجاء
استمر دائما في الركوع مثل السماء
واستمر دائما في السجود مثل الأرض
كل الأشياء تزتم بالثناء على الحق^(١)
في نعمات كنعمات داود عليه السلام

(١) معنى هذا الشطر من البيت مأخوذ من قوله تعالى: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض
وما فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما
غفورا﴾ الإسراء ٤٤.

إن فقت من نوم الغفلة فستسمع بنفسك
هذه النغمة وهذا اللحن فى كل الجهات
إن أصبحت "أيازا"^(١) فى العبودية
فستكون جريئا فى الدلال على محمود^(٢)
كل أسباب وسبل الخير والشر وطرقهما
مهية مسيرة، وموجودة أيضا
فإن كنت عاقلا ميز وفرق بين
الأوامر الإلهية وبين المنهيات^(٣)
إن لم يوضع العود كالحرملة فى النار
فإن رائحة العود لاطعم لها بغير ذلك
نزه نفسك وطهرها من الغش والحقد
مثل البحر اللا معدود واللا محدود

(١) أيازا: اسم عبد من عبيد السلطان محمود الغزنوى اشتهر بوسامته وفطنته وإخلاصه وتفانيه
فى خدمة السلطان، وكان السلطان يحبه جدا جدا. وقد تردد أيازا فى الشعر الأفغانى باسم
محبوب ومعشوق السلطان محمود الغزنوى، ويضرب به المثل فى الإخلاص والعبودية
والتفانى فى خدمة السلطان.

(٢) محمود: هو السلطان محمود الغزنوى المذكور فى الهامش السابق.

(٣) معنى هذا البيت والذي قبله مأخوذ من هاتين الآيتين: ﴿إنا هديناه النجدين﴾ سورة
البلد ١٠، و﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ سورة الإنسان ٣.

لأجل ذلك مات وهلك يا عبد الرحمن
من لم يتنزه وجوده ولم يتطهر
ليس لعبد الرحمن ذكر غير ذكر الحبيب
ولا يجيد حوارا آخر غير هذا الحديث

“ ٨٠٧ ”

‘ ٦٧ - التفاخر بالوفاء ’

كلما أبديت التفاخر بالوفاء وتباهيت به
فإن ذلك الحبيب لا يقبل ولا يصدق ولو أقسمت له
إن حياتي التي أحيها في الدنيا من غير الحبيب
كالحياة التي يحيها الحرمل (الخردل) في الجمر
مطلب طلاب^(١) العشق الكرامة والشرف
ومطلب العبيد إرضاء سيدهم ومولاهم
فكما أن حبيبي مرفوع الرأس في العالم
كذلك أصبحت أنا مرفوع الرأس بتأثيره
حينما بدأت مدح رائعات الحيا من الحسان
أصبح كل شعري محبوبا رائعا ترغب فيه القلوب

(١) الطلاب: الطالب هو العاشق الإلهي أو الصوفي الزاهد الذي يبحث عن الحب الإلهي أو
العشق الإلهي ويطلبه بالباح.

وكما أن أحاديثي العذبة ذات مذاق وطعم
لن يوجد في السكر مثل هذا المذاق الحلو والطعم
سكر النبات الذي وضعه الله في فمي
لن يوجد عند الحلوانية مثل هذا السكر
كما أنني أديب متحدث وفنان شاعر
لن يكون هناك أديب وشاعر آخر مثلي
إنني في إنشاد الشعر قوي جرئ كالأسد
غير أنني لست مفترسا مثل الأسد القوي
إنني أجاد فن المدح وفن الهجاء إجادة تامة
إلا أنني لا أشعر بالرضا والسرور بمثل هذه الأمور
ليس لي إلا العشق سواء كان ذلك عيبي أو مدحي
لذلك فقد قمت بقطع العلاقات الأخرى عن الآخرين
إنني عاشق، شغلي الشاغل مع آلام العشق
لست من بني خليل^(١) ولا من الداودية^(٢) ولا من مهمند^(٣)

(١) بني خليل: قبيلة أفغانية تنسب إلى خليل، و خليل اسم أحد أجداد الشاعر عبد الرحمن بن عبد الستار، وذريته تشتهر باسم خليل، وباسم خليل زي، ومعناه بني خليل، وبنو خليل هم الفرع الخامس في سلسلة القبائل السربنية، والشيخ سربن هو الجد الأعلى لهذه القبائل الأفغانية. وفيما يلي بيان إيضاحي تاريخي لذلك: خليل بن غوريا (إبراهيم) بن كند بن حرشبون (خير الدين) بن سربن رحمه الله. وسربن كان من رجال الأفغان الصالحين، ومن شعرائهم. ومنازلهم واقعة في شمال غرب پشاور.

من يقدم إلى النصائح فى باب العشق
فهو كالابن الذى يقوم بتقديم النصائح لأبيه
كل من يمسك المرأة بيده يضحك
كأنه بضحكه هذا يسخر من نفسه
على الصباغين أن يصبغوا لحاهم أولا
فليقوموا حينئذ بتقديم نصحتهم إلى عبد الرحمن

“ ٨٢٢ ”

تكملة.....

(٢) الداودية: داود أحد جدود الشاعر، وذريته تشتهر باسم داودى (بنى داود) وهم الفرع السادس فى القبائل السربية، والشيخ سربن هو الجد الأكبر لهذه القبائل على الترتيب الآتى: داود بن دولت يار بن غوريا (إبراهيم) بن كند بن خرشبون (خير الدين) بن سربن الذى كان من الشعراء والزعماء الصالحين رحمة الله عليهم . ومنازل الداودية واقعة فى سهول شمال پشاور بين فروع نهر كابل المتعددة.

(٣) مهمند (مومند): وهو فى الأصل اسم لأحد أجداد الشاعر، وذريته تشتهر باسم مهمند (مومند) أيضا، فهو اسم لقبيلة وجدها الأعلى، وقبيلة مهمند (مومند) هى الفرع السادس فى القبائل السربية، وإيضاح ذلك كالاتى: مهمند (مومند) بن دولت يار بن غوريا (إبراهيم) بن كند بن خرشبون (خير الدين) بن سربن رحمة الله عليهم، ومنازل المهنديّة (المومندية) هى السهول والجبال الواقعة بين كونر وپشاور شمالا، وكذلك فى إقليم ننگرهار، وكانت شوكة فى جنب الإنجليز مدة احتلالهم للهند.